

المحاضرة الثانية عشر: اثنوغرافيا دراسات الجمهورالأهداف التدريسية:

- تمكين الطالب من إدراك المفاهيم و المعارف الخاصة بالمنهج الاثنوغرافي.
- مساعدته على التمكن من الاجراءات المنهجية في البحوث الاثنوغرافية.

المحتويات:

- المنهج الاثنوغرافي : تعريف
- خصائص المنهج الاثنوغرافي
- أنواع المنهج الاثنوغرافي
- الاجراءات المنهجية في البحوث الاثنوغرافية

يتأسس المنهج الاثنوغرافي على المنظور التأويلي ، لذلك يهدف الاثنوغرافيون الى استكشاف الظواهر الاجتماعية و وصفها من خلال استكشاف تمثل الأفراد للأشياء و الوقائع من حولهم و التعرف على المعاني التي يصفونها على أفعالهم عن طريق تحليل ما يطورونه من سلوكيات و ما يقدمونه من قصص و روايات حول البيئة الاجتماعية المحيطة بهم .

تعود بداية المنهج الاثنوغرافي و تطبيقاته العلمية الأولى الى علم الانثروبولوجيا "حيث استعمل لأول مرة من قبل علماء الانثروبولوجيا "(ويمر و دومينيك،2013، ص 260) باعتباره طريقة للتعرف على

الثقافات الأخرى و خاصة البدائية منها 1 و" يقوم الاثنوغرافيون بالمضي داخل العوالم الاجتماعية للسكان الموجودين في مجتمع بحثهم ... يقومون بملاحظة و تسجيل الحياة الاجتماعية المتواصلة للأفراد و ذلك عن طريق تقديمهم وصفا مكثفا لهذه البيئة الاجتماعية و للحياة اليومية للأفراد الذين يعيشون في هذه الأماكن "(بيبر و ليفي، 2011، ص 388). يعمل الباحث الاثنوغرافي على تقديم صورة تفصيلية للثقافة السائدة في الجماعة المبحوثة و التي تعكس كل ممارسات و عادات حياتهم اليومية ضمن سياقاتها التي تتشكل في إطارها ، و عليه لا يغفل الباحث في هذا النوع من البحوث أهمية وصف ما يطرره الأفراد من سلوكيات و ما يصدر عنهم من تصرفات بوصفها أبنية اجتماعية تسجل و تحلل ضمن أطرها العائلية الدينية السياسية و الاقتصادية...الثقافية . و لذلك لا يمكن إجراء البحث الاثنوغرافي خارج المجتمع الطبيعي المبحوث حيث تكتسي الأماكن التي يمارس فيها الإراد حياتهم الطبيعية أهمية خاصة في البحث الاثنوغرافي تبعا لما يوفره من معلوماتو ما يعكسه من معاني.

لقي المنهج الاثنوغرافي اهتماما كبيرا من قبل الباحثين في تخصصات علمية مختلفة خاصة في نهايات القرن الماضي و هو ما ساعد على تكييف مبادئه مع مختلف موضوعات علوم السياسية و الاجتماع و التربية و الاعلام و ... الخ . لينتقل بذلك من دراسة الثقافة في المجتمعات البدائية الى بحث الثقافة في المجتمعات الصناعية و المتطورة .

في علوم الاعلام و الاتصال يمثل المنهج الاثنوغرافي أبرز المناهج التي تعكس التوجهات الجديدة لبحث الظاهرة الاتصالية في متعلقها التكنولوجي حيث بات يعتمد لقدرته على بحث و دراسة السلوكيات الاتصالية للجمهور و التفاعلات التي يشارك فيها ازاء مختلف الرسائل التي يتلقاها من مختلف الوسائط المتوفرة في البيئة الاعلامية الجديدة.

- **المنهج الاثنوغرافي : تعريف :** تؤكد الأدبيات العلمية عدم اتفاق الباحثين على تعريف موحد للمنهج الاثنوغرافي ، و يرجع ذلك إلى طبيعته الخاصة التي ترتبط بأسسه الابستمولوجية و تصميمه و كيفية

¹ دراسات مالينوسكي عن مجتمع الارغنو، دراسات رادكليف براون عن مجتمع الاندنام و دراسات مارغريت ميد عن شعوب أمريكا الجنوبية

اجرائه. تمثل كلمة اثنوغرافيا الترجمة الحرفية للمصطلح Ethnography المكون من مقطعين ، الأول Ethno و يعني جنس أو شعب و الثاني graphy و يعني وصف و بذلك يعني مصطلح اثنوغرافيا وصف حياة و ثقافة الشعوب اذ يشير " المعنى الحرفي لكلمة اثنوغرافيا الكتابة عن ثقافة " الشعوب (ببير و ليفي، 2011، ص 388)

يعتبر المنهج الاثنوغرافي نوعا خاصا من مناهج البحوث الكيفية حيث يُعرفه الأنتروبولوجيون اعتمادا على أسسه الابستيمولوجية التأويلية بوصفه الطريقة التي يتم من خلالها وصف ثقافة مجتمع ما و هو المنهج المستخدم لملاحظة السلوك في بيئته الطبيعية ما يمكن الباحث من فهم المعنى الحقيقي للسلوكيات محل الملاحظة، لذلك يجرى البحث الاثنوغرافي في السياق او الموقف الطبيعي ، حيث يقوم الباحث بجمع البيانات و يعمل على تحليلها استقرائيا من خلال الاعتماد بشكل رئيسي على المعاني التي يفصح عنها الأفراد موضع الدراسة بوصفهم مشاركين . فالمنهج الاثنوغرافي هو ذلك النوع من المناهج الذي يؤكد على ضرورة دراسة الظاهرة في واقعها الطبيعي من خلال المعاشة الفعلية للأفراد و تتبع الوقائع و الأحداث و السلوكيات اعتمادا على الملاحظة بالمشاركة و دون أي تدخل أو ضبط مسبق" (Hamersley , M & Atkinson,1995,p :10)

و يعرف اعتمادا على الأسئلة المحورية التي تطرح من خلاله بانه " المنهج الذي يعنى بدراسة الثقافة بوجه خاص ، فسؤاله المحوري هو ما ثقافة هؤلاء الأفراد؟ و هل يفترض لأي مجموعة من الأفراد الذين يعيشون معا أن يكونوا ثقافة خاصة بهم؟ و ما انعكاسات هذه الثقافة على تشكيل أنماطهم السلوكية و ممارساتهم الحياتية و نظرتهم إلى الواقع الاجتماعي و الثقافي من حولهم " (Patton.1989.p :67)

و يعرف المنهج الاثنوغرافي بالتركيز على الهدف منه باعتباره " المنهج الذي يهدف الى الوصول لفهم متعمق للطريقة التي يتبعها الإراد المنتمون الى الثقافات المختلفة و الثقافات الفرعية في إدراك معنى واقع حياتهم التي يعيشونها " (ببير و ليفي، 2011، ص 388)

و يعرف بتتبع الاجراءات البحثية المعتمدة في إطاره بوصفه " العملية التي يقضي فيها الباحثون وقتا طويلا يعيشون مع ، و يلاحظون ، الثقافات الأخرى في البيئة الطبيعية" (ويمر و دومينيك، 2013، ص 260)

و يعرف بالتركيز على طبيعة تصميمه المنهجي التي تتنافى و صرامة الاجراءات و الأساليب بأنه " أسلوب بحثي يركز على مبادئ علمية لتفسير و وصف السلوكيات الثقافية و البحث عن ما وراء السلوك الظاهري من جذور ثقافية كالعادات و التقاليد و القيم و المعتقدات بوصفها أساسا لأنماط السلوك " (Wilson ، 1978 ، p 215)

- خصائص المنهج الاثنوغرافي : يحدد كل من R Wimmer & J Dominick الخصائص الرئيسية للبحوث الاثنوغرافية على النحو التالي :

. يضع المنهج الاثنوغرافي الباحث وسط الموضوع قيد الدراسة ، فالباحث هو الذي يذهب الى البيانات و ليس العكس.

. يؤكد المنهج الاثنوغرافي على دراسة الظاهرة موضع البحث في إطار مرجعية المبحوثين .

. يتضمن المنهج الاثنوغرافي قضاء قدر كبير من الوقت في الميدان

. يستخدم المنهج الاثنوغرافي تنويعا من أدوات جمع البيانات كالملاحظة بالمشاركة و المقابلة المكثفة و مجموعات التركيز البورية و يمكن من توضيف الأساليب المتاحة كالتصوير الفوتوغرافي و تسجيل الفيديو و تحليل الوثائق المتوافرة... الخ

- أنواع المنهج الاثنوغرافي : يمكن تصنيف المنهج الاثنوغرافي الى أنواع اعتمادا على عدة معايير أهمها :

. مجال البحث : الذي يميز بين نوعين رئيسيين من البحث الاثنوغرافي هما:

. الاثنوغرافيا الكلية : و تسمى الاثنوغرافيا الكبرى أو التقليدية لأنها تهتم بدراسة طريقة حياة

ثقافة بكاملها .

. الاثنوغرافيا الجزئية : تهتم بدراسة وحدات أصغر كالجماعات الفرعية و المؤسسات و

التنظيمات و المهن

. طبيعة البحث : التي تميز بين نوعين رئيسيين من البحث الاثنوغرافي هما :

. الاثنوغرافيا الوصفية : تقوم على وصف الظاهرة المبحوثة من خلال الفهم المعمق لها .

. الاثنوغرافيا النقدية : اثنوغرافيا توظف المقاربة النقدية من أجل بحث عوامل مثل القوة و

السيطرة و دورها ضمن الاجندات المخفية .

- الاجراءات المنهجية في البحوث الاثنوغرافية : يمكن تحديد خطوات المنهج الاثنوغرافي فيما يلي :

. تحديد المشكلة

. اختيار الموقع الميداني الحصول على منفذ

. تجميع المعلومات والبيانات والمعطيات حول الظاهرة المدروسة

. تسجيل المعلومات وتوثيقها بدقة.

. تحليل البيانات

. اعداد التقرير النهائي للبحث .